الفصل السادس

مرحلة المهد

(من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية من العمر)

مرحلة المهد

(من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية من العمر)

الميلاد هو انتقال الطفل من بيئة الرحم إلي العالم الخارجي ، ويخرج الطفل إلي هذا العالم كامل التكوين من الناحية الجسمية بمعنى أن أجهزة جسمه تكون كاملة النمو ومستعدة للعمل .

وتختلف بيئة الطفل قبل الميلاد عن بيئته بعد الميلاد فالطفل يقضي فترة ما قبل الميلاد كجنين في بيئة يعتمد فيها اعتمادا كليا علي الأم من حيث غذائه وما يحتاج إليه من أكسوجين . ويتغير الحال بعد الولادة حيث يبدأ يستقل عن الأم في عمليتي التنفس والهضم ، وقد دلت البحوث علي أن الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي والجهاز الدموي يصل كل منها إلي درجة من النضج تسمح له بتأدية وظيفته قبل الميلاد بشهرين ، وسوف نتناول بالدراسة نواحي النمو خلال العامين الأولين من حياة الطفل ، علي أنه يجب أن يكون واضحا أن المعلومات التي نقدمها في هذه الدراسة إنما تمثل المجموع العام لأطفال هذه المرحلة رغم وجود الفروق الفردية الواضحة بين الأطفال .

ومعرفة الأسس العامة لخصائص النمو في هذه المرحلة أو تلك مما يجعل الآباء والمربين علي بصيرة بما يتوقع وما لا يتوقع من نواحي نمو الطفل وسلوكه كما أنها تمكنهم من مقارنة نمو طفل معين بالمستوى العام للأطفال في مثل سنه . وقد قدم جيزل صورا عامة لنمو الأطفال العاديين من الميلاد حتي سن العاشرة ووضع قوائم النمو المتصلة بالنشاط الحركي واللغوي والاجتماعي ونواحي التكيف ، ويعتقد جيزل

فـي أهميـة هـذه الصـور العامـة للنمـو فـي معرفـة نمـو طفـل معـين فـي سـن معينة وفي تقديم التشخيص النفسي لمشكلات الأطفال المختلفة .

وفيما يلي نتناول نواحي النمو المختلفة في هذه المرحلة :

١ـ النمو الجسمي :

يـزن الطفـل الحـديث الـولادة حـوالي سـبعه كيلـو ونصـف رطـلا أو مـن (٢ـ ٣كيلـو ونصـف) ويـزداد وزنـه زيـادة مطـردة . وفـي نهايـة العـام الأول يصل إلي ثلاثة أضعاف وزنه عند الولادة أي حوالي ٢١رطلا .

أمـا مـن حيـث الطـول فيبلـغ طولـه عنـد الـولادة حـوالي ٥٠سم ويبلـغ فـي نهاية السنة الأولي من عمره حوالي ٧٠سم .

وفـي حـوالي الشـهر السـادس أو السـابع يبـدأ الطفـل عمليـة التسـنين وقـد يتـأخر بـدء التسـنين إلـي الشـهر الثـامن وهـو عمليـة شـاقة بالنسـبة للطفـل تصـاحبها الآلام كمـا يصـحبها تغيـر فـي اسـتجابات الطفـل الانفعاليـة فقـد يمعن في قضم الأشياء وقد يأخذ هذا السلوك صورة العدوان .

٢ـ النمو الحسي :

المعيـار الـذي يتخـذ لتحديـد القـدرة الحسـية لـدى الوليـد هـو مـا يقـوم بـه مـن اسـتجابات حركيـة للمثيـرات الحسـية المختلفـة التـي تثيـر أعضـاء الحـس، وبعـد فتـرة قصـيرة مـن المـيلاد يبـدأ إنسـان العـين حركتـه وتنشـط حركـات العـين وتنشـط معهـا قـدرة الطفـل علـي تتبـع الشـيء المـتحكم ، وفـي الأسـبوع الأول مـن الحيـاة يسـتجيب الطفـل عـادة للضـوء بعلامـات تـدل علي عدم الارتياح .

أما عن السمع فيستطيع الطفل أن يميز بين أصوات المحيطين به في شهره الرابع فيميز صوت أمه وصوت أبيه كما يميز الصوت الدال علي الغضب والصوت الدال علي الابتهاج .

وحاسة اللمس هي أكثر الحواس استعداد للعمل منذ الميلاد ، فعن طريقها يتصل الطفل بأمه ، وتسهم حاسة الشم مع حاسة اللمس في تكيف الطفل مع العالم الخارجي ، فعن طريقها يتصل الطفل بثدي الأم مهتديا باللمس والرائحة .

أما حاسة الذوق فالطفل يستجيب في وقت مبكر للأشياء فيتقبل الأشياء الحلوة وينفر من الأشياء المرة والمالحة .

ومرحلة الطفولة هي المرحلة التي توضع فيها أسس العمليات الفسيولوجية الهامة كالتغذي والنوم والإخراج وترتبط هذه العمليات بتكوين عادات معينة يتأثر بها سلوك الطفل واستجاباته ، وتتركز هذه العادات فيما يلي :

١ـ عادات التغذية :

بعد الميلاد بفترة قصيرة جدا يستطيع الطفل أن يمتص ثدي الأم ، والرضاعة إلي جانب أنها وسيلة لإشباع حاجة الطفل الفسيولوجية ، فإنها تعتبر أيضا وسيلة لإشباع حاجة نفسية هي حاجة الطفل إلي الأمن الذي يشعر به عندما تضمه الأم إلي صدرها وقت الرضاعة ، ولذلك فمن الضروري حني في الأوقات التي تكون فيها الرضاعة صناعية أن تضم الأم أو المربية الطفل إلي صدرها كما يحدث في عملية الرضاعة الطبيعية (الرضاعة الطبيعية) ، أما الرضاعة السكولوجية (حيث تقوم

الأم بإكسابه مجموعة من السمات النفسية عن طريق الدفء العاطفي والتقبل النفسي وكثرة الابتسامة أثناء الرضاعة الطبيعية لنمو الذكاء الوجداني.

ويرتبط بالرضاعة ناحية أخرى هي الفطام ، والفطام هو قطع عملية الرضاعة وهو يعتبر حدثا هاما في حياة الطفل ، وقد يصحب الفطام اضطرابات انفعالية نتيجة انتقال الطفل من عادات قديمة تعود عليها منذ بداية حياته إلي عادات جديدة أي من الرضاعة إلي أغذية تحتاج إلي مضغ وبلع ومجهود يقوم به الطفل ، كما أنه يعتبر قطعا أو إنهاء لعلاقة انفعالية بداية لاستقلالية الطفل العاطفية والانفعالية والعقلية، ومن ثم يجب أن تتم عملية الفطام بحذر دون أن تؤدي إلي مشكلات نفسية معقدة .

وللفطام مظهر إيجابي هو أنه مصدر لإشباع نفسي جديد للطفل فهو يمنحه استقلالا أكثر كما يمنحه الفرصة لتعلم مهارات جديدة ويكون خطوة نحو النضج والاستقلال وتكوين شخصية مستقلة للطفل .

٢ـ عادات النمو :

يكاد يكون النوم هو الشغل الشاغل للطفل خلال فترة الطفولة الأولي ومتوسط عدد ساعات النمو في الفترة من الميلاد حتى الشهر الرابع هي بين ١٧ــ ٢٠ساعة ويهبط هذا العدد إلي حوالي ١٤ــ ١٥ ساعة يوميا عندما يبلغ السنة تقريبا ، وإلي ١٣ــ ١٤ساعة عندما يبلغ السنتين ، ويجب أن يراعي أن تكون مواعيد نوم الطفل منتظمة وإن يهيأ الطفل للاستعداد للنوم قبل نومه بفترة مناسبة .

٣ـ عادات الإخراج :

ويتطلب ضبط عمليتي التبول والتبرز وقتا حتي يستطيع الطفل التحكم في هذه العادات ، وتتوقف هاتان العمليتان علي عاملين هما النضج والتمرين ومن هنا نلحظ خطأ الآباء الذين يتعجلون قيام الطفل بضبط هاتين العمليتين في وقت مبكر مستخدمين وسائل العقاب والتهديد، فقد يترتب علي مثل هذه الأساليب بعض الاضطرابات السلوكية والانفعالية لدى الطفل ، ويتم السيطرة علي عملية التبرز قبل نهاية السنة الثانية ، أما التبول النهاري فيمكن التحكم فيه حوالي الشهر الثامن عشر ، وأما التبول أثناء النوم فلا يتم التحكم فيه إلا في حوالي منتصف العام الثالث أو نهايته ، فإذا تأخر عن ذلك وجب عرض الطفل علي الطبيب .

النمو الحركي :

يقوم الطفل عقب ولادته بمجموعة من الحركات العشوائية غير المنتظمة ثم يحدث لها بعد ذلك الكثير من الضبط مما يسهل علي الطفل القيام بأنواع معينة من الحركات ، وهذه السهولة ذاتها تدفعه إلي تكرار هذه الحركات ويساعد علي ذلك تكوين جسم الطفل وما هو عليه من مرونة ، ففي نهاية السنة الأولي يكون الطفل قادرا علي القيام بكثير من أوجه النشاط الحركي فيستطيع أن يزحف من حجرة إلي أخرى ويكتشف البيئة التي يحيا بين جدرانها .

والنمو الحركي يتبع الاتجاه العام للنمو أي يسير من الرأس إلي القدم فتحدث السيطرة أولا علي حركات الرأس والرقبة ثم الصدر

والظهر ثم الجذع والقدمين ، ففي حوالي الفترة ما بين الشهر الرابع والسادس يستطيع الطفل أن يرفع رأسه إلي أعلي ، ويتعود الأطفال الجلوس وحدهم بين الشهر السابع والتاسع .

وتعتبر عملية المشي مخاطرة مثيرة في حياة الطفل ، وقد يسير بعض الأطفال وحدهم في نهاية السنة الأولي ولكن الطفل المتوسط يكتسب هذه القدرة في حوالي الشهر الرابع عشر ، ويتوقف العمر الذي يسير فيه الطفل عادة علي عوامل مختلفة منها التغذية والصحة العامة والوزن وسرعة النضج والذكاء والحركة الممنوحة للطفل ، ويتيح المشي للطفل الفرصة لاكتشاف العالم المحيط به فيستطيع بذلك أفق الطفل ويكتسب الكثير من الخبرات فيكتسب المعرفة مثلا بما هو حار وما هو بارد ، ويعرف الأشياء اللينة والحافة والحلوة والمرة .

ويتعلم الطفل خلال السنة الثانية من حياة الجري والقفز وصعود السلالم واللعب بالكرة وذلك كله بطريقة بدائية .

وبالإضافة إلي أن عملية المشي تعتبر تطورا جسميا هاما فهي كذلك تؤدي إلي تطور عقلي وانفعالي . فعن طريقة يتحرر الطفل من الأم أو التربية كما يتمتع بقدر أكبر من الحرية والنشاط الذاتي ويتعرض لعدد أكبر من الخبرات وهذا هو البداية الحقيقة للاستقلالية الوجدانية والعقلية لدى الطفل.

النمو الانفعالي :

تتميز انفعالات الطفل بالحدة والتطرف وسرعة التقلب . يعبر الطفل في بداية الأمر عن انفعالات الغضب وعدم الارتياح بأساليب بدائية كالرفس

والعض ولضرب والصراخ والبكاء ، وعندما يتكلم قد يستعيض باللغة عن هذه الأساليب البدائية إذا وجد أن اللغة أكثر فاعلية في أحداث الأثر المطلوب في نفوس سامعيها . ومن أسباب حدة الانفعال في هذه المرحلة عدم التوازن بين دوافع الطفل وإمكانياته ، فرغبات الطفل كثيرة وإمكانياته محدودة .

وأوضح انفعالات الطفولة انفعال الغضب وانفعال الخوف فالطفل يعبر عدم إشباع رغبته أو إعاقة نشاطه بعدم الرضا الذي قد يتخذ مظهرا إيجابيا عدوانيا (الغضب) أو مظهرا سلبيا انسحابيا (الخوف).

والخوف يستثار لدى الطفل غالبا من المواقف غير المتوقعة كرؤية الأشخاص الغرباء ومن الأصوات الفجائية أو العنيفة ، كما يخاف من الظلام ، أو من النوم وحده في حجرة منفردة .

والطفل الخائف يكون في حاجة إلي إعادة الثقة إليه حني يصبح أكثر قدرة علي التعامل مع الموقف الجديد بنجاح وبصورة تبعده عن الخوف .

وهناك بعض العوامل التي تساعد علي النمو الانفعالي للطفل ومنها حالته الصحية ، فالصحة الجيدة هي أساس سعادة الطفل ، علي حين أن الطفل المريض يكون أقل مقاومة لنوازع الخوف والمرض ، كما أن الآلام وقلة الحيوية قد يؤثران في استجابات الأطفال الانفعالية فتجعلها أكثر حدة في الطباع.

ولا يخفي أن حالة الاستقرار الانفعالي في الأسرة تساعد علي تنمية استجابات الطفل الانفعالية وهدوئها ، ورعاية الطفل المنزلية وقيام الأم بالحنو والعطف عليه واشعاره بأنه محبوب ومرغوب فيه تعتبر بمثابة الأسس التي

يقوم عليها الاستقرار الانفعالي للطفل ، علي حين أن الطفل إذا ابعد عن أمه فإنه يشعر بعدم الاطمئنان والقلق .

النمو العقلي :

يساعد التطور في نمو الحواس لدي الرضيع علي تعرفه علي الأشياء المحيطة به فيتسع محالة الإدراكي ، ويلاحظ أن الذكاء في هذه المرحلة يكون حسيا حركيا بل يكون مؤثراً ودالاً على وجود الموهبة وخاصة وهو في بطن الأم.

ويتأثر نموه الرضيع العقلي بصفة عامة بالجو الثقافي الأسرى والعوامل المادية والثقافية بحيث إذا كانت هذه العوامل مواتية كان النمو العقلي أفضل ، ويرتبط النمو اللغوي بالنمو العقلي ، وتعتبر اللغة مظهرا قويا من الشهر الثالث تقريبا وتستمر إلي نهاية السنة الأولي ويناغي الرضيع نفسه دون أن يكون هناك من يستجيب لصوته .

وتظهر الكلمة الأولي في الشهر التاسع تقريبا وقد تتأخر إلي سن ١٥شهرا عند الطفل العادي ، أما عند ضعاف العقول فقد تتأخر إلي ما بعد ٣٦شهراً .

وتعتبر السنة الأولي مرحلة الكلمة الواحدة حيث ينطق الرضيع كلمة واحدة للدلالة علي ما يريد التعبير عنه كان يقول محمد ويقصد بذلك أنه أخذ لعبته أو ضربه أو يريد أن يخرج معه .... إلخ .

أما مرحلة الكلمتين فتأتي في النصف الأخير من السنة الثانية ، هذا ويرتبط النمو اللغوي بالذكاء وسلامة الجهاز العصبي والثراء الاجتماعي والثقافي في البيئة . ويستطيع الرضيع بصفة عامة أن يفهم لغة المحيطين به وخاصة أمه قبل أن يستطيع التعبير اللغوي أي أن فهم اللغة يسبق استخدامها والتعبير بها ،

ومن العادي أن توجد بعض العيوب في كلام الرضيع ويراعي ضرورة التحدث معه باللغة السليمة والابتعاد عن محاكاة لغته الطفلية .

يتكون القاموس اللغوي للطفل في نهاية السنة اثانية من عمره من ٢٥٠ كلمة.